مخطوطان عربيان من اسفار العهد العتيق

نظر كتابي للاب لويس شيخو اليسوعي

وصفنا سابقاً في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٣٣ — ٣٧) نسخةً قديمة من التوراة مصونة في مكتبتنا الشرقيَّة . ومما وقفنا عليه بعد ذلك نسخة جميلة ارشدنا اليها احد اصدقائنا في الاستانة المرحوم شكري افندي باحوط وكانت هناك معروضة للبيع ولم نعلم ما حلَّ بها . وانما حصلنا على رسوم فوتغرافية من صفحاتها الاولى نروي منها مثالاً يستدلّ به القارئ على نفاستها . وهذه النسخة كما يظهر كاتبُها احد نصارى مصر بحرف جلي مُشرق من الخطّ النسخيّ البديع والشكل الكامل الحسن الضبط ولا تخلو العربية من مَسْحة طليَّة بليغة وذلك في التاريخ العربي تاسع شهر ربيع الآخر من السنة ٧٥٦ الموافق الرابع والعشرين من نيسان ١٣٥٥ م . ودونك الفصل الاوَّل من نصها مع رسم صفحةٍ منها بالتصوير الشمسيّ :

اوَّل ما خلق الله السمواتِ والارض وكانت الارض غامرة مستبحرة ظلامٌ على وجه الغمر ورياحُ الله تهبُّ على وجه الماء . فقال الله : ليكن نور فكان نور فعلم الله انَّ النور جيّد وفصل الله بين النور وبين الظلام وسمَّى الله النور نهاراً والظلامَ سمَّى ليلاً . وكان مساءٌ وكانَ صباح يوماً واحداً فقال الله : ليكن بساطٌ في وسط الماء ويكون فاصلاً ماءً من ماء . فصنع الله البساط وفصل بين الماء الذي من تحت البساط والماء الذي من فوق البساط . فكان ذلك وسمَّى الله البساط سماء . وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً . فقال الله لتجتمع المياه من تحت السماء الى موضع واحد ولْيظهر اليبسُ ارضاً ومجتمع المياه سمَّى بحاراً . وعلم الله ان ذلك جيّد . وقال الله : لتكلأ الارض كلأً عشباً ذا حَبّ لاصنافهِ وشجراً مُخرِجاً ثمراً ثمرةً لاصنافهِ وعلم الله ان ذلك جيّد . فكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً وقال الله : لتكن انوار في بساط السماء تُفرِز بين النهار وبين الليل وتكون آياتٍ واوقاتاً واياماً وسنين وتكون انواراً في بساط السماء لتضيءَ على الارض فكان كذلك وصنع الله النيّرين العظيمين النيّر الاكبر للتسلُّط على النهار والنيّر الاصغر للتسلُّط في الليل والكواكب وجعلها الله في بساط السماء للاضاءة على الارض . . .

فمن قابل بين هذه الاسطر والترجمة التي نشرها ڤالتون (Valton) في البرليغلوتا

اي التوراة المديدة اللغات المطبوعة في لندن سنة ١٦٥٦ تحقق ان نسختنا هذه تشبها شبهاً عظيماً الّا في بعض الدقائق. ومن المعلوم انّ النسخة المطبوعة هي لسَعديا غاوُن اليهودي من كتبة القرن الثاني عشر على ان النسخة التي وقعت الينا أضبط واصحّ

*

وفي اواسط ايلول من السنة ١٩٠٨ مررنا في مصر وبواسطة احد الاصدقاء امكنَّا ان ندخل الى مكتبة الاقباط غير الكاثوليك فوجدنا هناك بين المخطوطات العربيّة نسخةً قديمة من التوراة تاريخها سنة ١٠٤٦ للشهداء و ٧٣٢ للهجرة الموافقتين السنة ١٣٣٢ للميلاد فوجدناها ذات شأن ونسخنا بعض الاسطر منها الّا ان قصر الوقت لم يسمح لنا بالتمعُّن فيها ودرس خواصها ووددنا لو تسنح لنا فرصة اخرى لفحصها فحصاً مدققاً. وها قد قرَّب الله الينا مرغوبنا على غير انتظار

فان جناب الاديب الفاضل احمد باشا تيمور تفضّل وارسل لنا مؤخَّراً نسخة قديمة من اسفار موسى دخلت في مكتبته العامرة لنبدي فيها رأينا. فلما وقعت عليها عيننا حتى تحققنا انها هي هي النسخة التي وجدناها في مكتبة الاقباط فيكون جنابهُ اقتناها منهم بالوفر فاغنى بها خزانة كتبه. وعلى كلّ حال نشكر بدءًا لجنابهِ حسن ظنّهِ بنا وثقتهُ في خدمة العلم. ثمَّ نتخطى الى تعريف هذا الاثر الجليل فنقول :

انَّ هذه النسخة من التوراة تقيس ٢٧ سنتيمتراً طولًا و ١٧ ونصف عرضاً وهي مجلّدة تجليداً حديثاً بجلد وقماش اسودين وعلى قفا الكتاب خطوط من الذهب مع اسم الكتاب «التوراة» وتحت الاسم ورقة بيضاء مربعة مستطيلة عليها رقم ١١ من قسم «الديانات» في المكتبة التيمورية. وصفحات الكتاب ٣٩٣ يليها صفحتان بخطوط مختلفة عليها افادات شتى. وفي كلّ صفحة ٢٢ سطراً والكتاب مخطوط بقلم نسخيّ قديم جليّ بحبر اسود الّا الفصول والعناوين المكتوبة بحبر احمر والكاتب نصرانيّ يُدعى ابا فخر بن سليمان (اطلب رسم صفحة منها)

وقد فُقد من اوّل هذه النسخة ورقة او ورقتان وسقط مثل ذلك بعد الورقة الرابعة امّا آخرها فكامل. والكتاب يتضمّن خمسة اسفار موسى: الاوّل سفر التكوين (ص ١—١٠٦) في آخرهِ ما نصّهُ :

«كمل السفر الاوّل من التوراة ويقال انّ في هذا السفر اربعة آلاف وستمائة استيخن (اي آية) والسبح لله دائمًا ابدًا وكان الفراغ منهُ نهار السبت ثالث عشر ربيع الاوّل سنة اثنتين وثلثين وسبعمائة » (١٥ ك ١ ١٣٣١)

والسفر الثاني سفر الخروج (ص١٠٧–١٩٥) في آخره :

«كمل سفر الثاني وهو سفر الخروج والسبح (لله) دائمًا ابدًا وكلّ من وقف عليه وقرأهُ في منزله يسأل ابوتهُ وصديقهُ (؟) يدعوا لكاتبه بالصفح والمغفرة »

والسفر الثالث سفر اللاويين (ص١٩٦–٢٦٧) ويُختم بما نصّهُ :

«كمل السفر الثالث وهو سفر اللاويين وما تيسّر من تفسيره ولربّنا ومخلصنا المجد الى الابد امين في بكرة نهار الخميس الخامس وعشرين من امشير سنة الف وستّة واربعين للشهداء الموافق الثامن عشر شباط (١٣٣٢م) وحقارة العبد الحقير المسكين المعترف بكثرة ذنوبه وخطاياه ابو الفخر بن سليمان يسأل ابوّة وسيادة كل من كان في منزله وقرأهُ او سمعهُ يذكره وهو الذي تجاسر بنسخه والتضرّع اليه بالصفح والتجاوز عن زلاته وعثراته والرحمة امام المنبر المهول والربّ الاله يحفظه ولاولاده الحياة الدائمة الابديّة ويورثه كما وعد في انجيله المقدّس عوض الواحد ثلاثون وستون (كذا) ومائة وفي الآخر ملكوت السماوات التي لا تحوّل ولا تزول»

والسفر الرابع سفر العدد (ص٢٦٨؟–٣٣٥) في آخره ما حرفهُ :

«كمل السفر الرابع من التوراة وهو عدد بني اسرائيل ولربّنا ومخلصنا المسيح والمجد من الآن وكل اوان الى دهر الداهرين امين في عشيّة نهار الجمعة الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة اثنين وثلثين وسبع مائة الهجريّة» (١٣ آذار ١٣٣٢) »

السفر الخامس سفر تثنية الاشتراع (ص ٣٣٧–٣٩٣) ينتهي بقوله :

«كملت التوراة الكريمة المباركة بعون الله وحسن ارشاده وتوفيقه في عشيّة نهار الخميس العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنين وثلثين وسبع مائة للهجرة الموافق للثالث والعشرين من برمهات سنة الف وستّة واربعين للشهداء الابرار والثامن عشر من آذار (١٣٣٢م) . والعبد الحقير المعترف بكثرة خطاياه وعثراته المسمّى ابو الفخر بن سليمان المهتم بنسخهما يسأل ابوّة كلّ من قرأ فيها يذكرهُ بالرحمة وغفران الذنوب وستر العيوب»

ويلي هذا الختام صفحتان بخطوط غليظة غير متقنة هذا النصّ ما فيهما :

«المجد لله دائمًا . هذا الكتاب المبارك برسم الحقير مرقس مطران مدينة حمص فلا لاحد سلطان من الله تعالى ان يخفيهُ عنه ما دام في قيد الحياة وكلّ من تجاسر على ذلك واخفاه

يكون تحت الحرومات القاطعة من فم السيد المسيح ويكون حظهُ مع يوضاس (كذا) الذي اسلم سيدهُ ومن قرأ فيهِ يدعو لهُ بالمغفرة وغفر الذنوب ويترحم عليهِ وعلى والديهِ وعلى جميع المعمودية الارثذكسية فيكون له الجزاء من السيد المسيح في يوم الدين امين . وكتب الحقير في خدام الكنيسة مرقص مطران حمص المحروسة بتاريخ نهار الاربعاء ثامن وعشرين شهر كانون الثاني سنة سنة الاف وسبعمائة وسبعة وتسعين لكون العالم (١٦٦٩ م)

وانتقل هذا الكتاب المبارك الى خزانة الحقير في رؤساء الكهنة الذي لا يستحق ان يُذكر اسمهُ لكثرة خطاياه ميخائيل البطريرك الانطاكي من الاب كير مرقص بطرك المدينة المقدسة . . . وذلك بتاريخ الحادي عشر ايلول سنة (الارقام غير واضحة) »

وفي صفحة اخرى يقال انَّ المدعو « الياس بن يوسف بن غانم المتطبب في مدينة دمشق قد نظر في الكتاب بتاريخ نهار الاحد المبارك من الصوم الكبير المقدس تاسع شهر اشباط سنة ٧٠٥٦ لابينا آدم الموافقة لعاشر شهر محرّم الحرام سنة ٩٥٥ (اعني ١٥٤٨ م)

هذه الاسفار قد كُتبت لتُقرأ فصولها في الكنائس في ايام الصوم الكبير والآحاد والاعياد السنوية وذلك ما يُعرف بكتاب القراءات او النبوات (Lectionnaire) . وبين الفصول في وسطها او اواخرها تفاسير ادبية وتاريخية وروحيَّة لا يُذكر قائلوها وانَّما هي مقتطفة غالباً من اعمال الآباء اثباتاً لما بين العهد العتيق والجديد من الاتفاق وما تحتويهِ اسفار موسى من النبوات عن مجيء السيد المسيح وفضل شريعتهِ على شريعة موسى . ويؤخذ من عناوين الفصول انها مقسومة على حسب طقس الكنيسة القبطيَّة . فانَّ تاريخ قراءة كثيرٍ منها يشير الى الشهور القبطيَّة كبرمهات وتوت وامشير وهتور الخ وكذلك ارقام الكتاب في رأس الصفحات هي قبطيَّة كما انَّ في وسط الكتاب وفي آخرهِ قد ذُكر تاريخ الشهداء مع التاريخ الهجري وهو التاريخ الشائع بين اقباط مصر

بقي علينا تعريف الاصل الذي نُقلت عنهُ هذه الترجمة العربيَّة أهو الاصل العبراني او اليوناني او السرياني او القبطي . فقد عارضنا النسخة على ما لدينا من الترجمات القديمة فتحققنا ان ترجمتها منقولة عن الترجمة السبعينيَّة اليونانيَّة التي كانت شائعة في جهات مصر . والدليل عليهِ ان الروايات التي تخالف فيها الترجمةُ اليونانيَّة الترجمةَ العبرانيَّة موجودة ايضاً في هذه النسخة العربية . مثال ذلك (تكوين ٢ :

حيث يقال في الاصل العبراني «فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع» قد جاء في الترجمة السبعينيّة وفي هذه النسخة العربيّة «وكمّل الله في اليوم السادس جميع اعماله واستراح في اليوم السابع» وكذلك (٢: ٤) «هذه مبادئ السماوات والارض» كما في العبرانيّة أمّا في اليونانيّة ونسختنا الموصوفة فيقال: «هذا كتاب خلقة السماء والارض» — وكذلك في الفصل الخامس حيث ذُكِر كم عاش كلٌّ من الآباء قبل توليدهم ابناءهم وبعدهُ فان في الاصل العبراني يُنقَص عمرهم مئة سنة قبل التوليد ويزاد مئة سنة بعدهُ. فالنسخة اليونانيّة ومثلها نسختنا تزيد مئة سنة قبل التوليد وتنقصها بعدهُ فيقال مثلًا في الاصل العبراني انَّ آدم عاش ١٣٠ سنة وولد شيثاً وعاش بعد ان ولدهُ ٨٠٠ سنة فالترجمة السبعينيّة ومثلها نسختنا هذه العربيّة تذكر على خلاف ذلك انهُ عاش مائتين و ٣٠ سنة فولد شيثاً وعاش بعد ان ولدهُ ٧٠٠ سنة وهلم جرًّا — وكذلك (٧: ١٧) قد زادت الترجمة السبعينيّة ذكر «الليلة» في قولها انَّ مطر الطوفان «كان على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة» وهكذا النسخة العربية التي نحن في صددها بخلاف الاصل العبراني الذي ذكر الأيام دون الليالي — وكذلك ورد في النصّ العبرانيّ (٨: ٤) انَّ التابوت «استقرّ على جبل اراراط في ١٧ من الشهر السابع» فالترجمة اليونانيّة ونسختنا هذه تزعمان أنّهُ استقرّ «في ٢٧ من الشهر المذكور» — وكذلك جاء في الفصل الحادي عشر (ع ١١) في العبرانيّة ان ارفكشاد ولد لهُ شالح أمّا في اليونانيّة وفي نسختنا العربيّة هذه انهُ ولد قينان وان قينان ولد شالح. وجاء مثل ذلك في انجيل مار لوقا الذي استند الى الترجمة السبعينيّة (٣: ٣٦). وفي هذه الامثلة كفاية لصحّة قولنا. على انهُ يوجد على هوامش هذه النسخة روايات تشير الى النص العبراني

ولعلّ سائلًا يسأل أتكون هذه الترجمة العربيّة منقولةً عن اليونانيّة رأساً او بتوسّط الترجمة القبطيّة التي يتّفق العلماء على نقلها من الترجمة السبعينيّة. ليس الجواب على هذا السؤال سهلًا لان نسخ الترجمة القبطيّة المعروفة الى اليوم ناقصة كثيرة الخلل متعددة اللهجات منها باللغة البُحَيريّة ومنها بالصعيديّة ومنها بالمنفيّة. وما لا يُنكر انَّ في هذه النسخة العربيّة بعض الدقائق التي لا تُرى في السبعينيّة كقولهِ مثلًا عن فيسون عند ذكره انهار فردوس عدن (٢: ١١): «وهو يحيط ارض اويلاط وهي اقصى

بلاد الهند» فقوله «هي اقصى بلاد الهند» لا وجود له بالترجمة البيروتية. وكذلك في رواية هذه النسخة العربية لاسماء الاعلام اختلافٌ مع الاصلين العبراني واليوناني فضلاً عن كون كثير منها مهملاً تصعب قراءته. فمن ذلك ذكره لبني نوح ونسلهم (تكوين ١٠: ١–٣٢) فقال عن بني يافث انهم «حمرا سكير وماعوث ومادا وسوار وسوبل وماسح وتايرس. وبنو حمرا رعد ورومها وبنو ماوان الشا وترسيس وكاسم وذورونيم» فهذه الاسماء مصحفة مختلطة قليلة الوضوح لو نُقطت عُرف بعضها كما في ترجمتنا العربية حمرا (جومر) ماعوث (ماجوج) سكير او اسكير (اشكناز) مادا (ماداي) سوار (ياوان) سوبل (توبال) ماسح (ماشك) تايرس (تيراس) وهلم جرًّا. فمن المحتمل انَّ هذه الاسماء منقولة عن نسخة قبطية بلفظها القبطي. ومثلها (في الفصل ٣٩: ١) اسم فوطيفار فانهُ مرويّ في هذه النسخة «باديرا» ولعلّهُ اقرب من القبطي والله اعلم

وإتماماً للفائدة نروي هنا بعض مقاطيع من هذه النسخة ليطّلع القرّاء على خواصها فهذا قسم من الفصل الثاني من سفر التكوين:

«هذا كتاب خلقة السماء والارض. كلّ خضر الحقل لم تكن اولاً على وجه الارض وكل عشب الحقل قبل ان يَصعد لانَّ الله لم يكن انزل مطرًا على وجه الارض ولم يكن انسان يعمل فيها وكانت عين تصعد من الارض وتسقي كلّ وجه الارض وخلق الله الانسان من تراب اخذهُ من الارض ونفخ في وجهه نسمة الحياة فصار الانسان نفساً حيّة ونصب الله الفردوس في عدن مقابل المشرق وجعل فيه الانسان الذي خلقهُ. وانبت الله ايضاً من الارض كلّ شجرة حسنة في المنظر وطيّبة المطعم وشجرة الحياة في وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر ونهر يخرج من عدن يسقي الفردوس ثمَّ ينقسم من ثمَّ على اربع اروس اسم احدهم فيسون الذي يحيط ارض اويلاط وهي اقصى بلاد الهند وهناك يوجد الياقوت الاحمر والحجر الاخضر».

وهذه نبذة من نبوة يعقوب في ولده يهوذا (التكوين ٤٩: ٨–١٢):

«يهوذا لك تسبّح اخوتك يداك على رقاب اعدائك. لك تسجد بنو اسرائيل. شبل الاسد يهوذا ابني من الغصب يا ابني نجوت واتّكيت وربضت مثل الاسد ومثل الشبل من يثيره (؟) لا يزال القضيب من يهوذا والمسلّط من بين فخذيه حتى يجئ ذلك الذي لهُ وإيّاه تنتظر الامم يربط الى الكرمة جحش الاتو يغسل بالخمر لباسهُ وبدم العنب رداءهُ عيناهُ من الخمر واسنانهُ بيض مثل اللبن»

ودونك بعض آيات من نبوة بلعام (سفر العدد ٢٤: ٥–٩، و١٧–١٩):

«ما احسن منازلك يا يعقوب . ومساكنك يا اسرائيل مثل الاودية الجارية ومثل الكروم على النهر ومثل السكن الذي نصبهُ الله ومثل الارز الذي على الماء . يخرج رجلٌ من بنيهِ وذريتهِ بماء كثير يرتفع من اجاج ملك (ملكهُ) ويتعالى ملك الله الذي اخرجكم من مصر بعزّتهِ وعظمتهِ . يأكل الشعوب الذين هم اعداؤهُ ويكسر عظامهم (عظامهم ؟) ويقطع ظهورهم وهو رابض نائم مثل الاسد ومثل شبل الليث فمن يستطيع ان ينبّههُ من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً . . قد رأيتهُ وليس بآنٍ نظرت اليهِ وغير بعيد انهُ يطلع كوكب من يعقوب ويقوم رئيس من اسرائيل ويبيد جبابرة موآب . . يكون لاسرائيل قوّة ويهبط من يعقوب رئيس فيهلك من كان بقي في القرية »

وهذا مثال من التفاسير التي علّقها الكاتب على اسفار موسى الثلاثة الاولى فقط نأخذهُ من تفسيرهِ لبركة يعقوب لابنَي يوسف اي منسّى وافرائم قال (ص ١٠٠) :

«لمّا كان يوسف قياساً للمسيح لذلك لمّا علم يعقوب بقدومهِ اليهِ شدّد نفسهُ وهو في شدّة المرض وجلس على السرير واظهر سرّ الصليب في بركتهِ على ابنيهِ لانّهُ صلّب يديهِ وبارك عليهما . كان البكر على يمينهِ والاصغر عن شمالهِ فجعل يمينهُ على الاصغر وشمالهُ على رأس الاكبر . اوضح انّ شريعة الانجيل التي هي الثانية افضل واعظم من شريعة التوراة التي هي الاولى . وحين اراد يوسف ان يبارك ابوهُ على ولدَيهِ جعلهما سجّداً لهُ لكي يعلّمنا انّنا هكذا يجب ان نخضع ونسجد لآبائنا ومعلّمينا ونلتمس منهم البركة . ولمّا بارك يعقوب على ولدي يوسف باركهما باسم الاله المتجسّد لانهُ دعاهُ الهاً وملكاً في مرّة »

وهذا تفسيرهُ على ما انزلهُ الله من المنّ على شعبهِ وما فرضهُ عليهم من شروط جمعهِ كل يوم (ص ١١٢أ) :

«كتابُ الله ها هنا يعلّم المؤمنين ان يكونوا قنوعين غير مستكثرين وغير شرهين وغير جاهدين على ما يزيد عن كفافهم بل بالقناعة يحصلون لهم كفافهم فقط في يومهم ذاك ولا يحملوا همّاً عن يوم آخر بل يتّكلوا بتمامهم الله يهتمّ لهم في غيرهِ مثله . وامر بني اسرائيل ان يجمعوا كفافهم ليوم واحد فالذين عصوا وجمعوا زائداً دادَ وتحدوم يتقضوا بهِ . علّمنا بهذا بان الذي يعصي ويقتني ما لم يأمرهُ بجنيهِ لا ينفع فيهِ الربح بل يناله التلاف والفساد والذي يجمع ويحصل كفافهُ فقط فالله يبارك لهُ فيهِ وان كان قليلاً جداً ويعطهُ الله كفاف (كافياً) لحاجتهِ »

فمن هذه الامثلة ترى ما لهذه النسخة من عظم الشأن لدرس الاسفار المقدّسة والوقوف على الفروق بينها وبين التراجم الاصلية فنتمنّى ان يبرزها احد علماء النصارى في مصر بالطبع والله السامع المجيب